المدارس الكنتية بالجزائر– مدرسة أبناء بن عمر الكنتيين بالجديد أنموذجاً.

Kentian Schools in Algeria – Ben Omar El Kantian Sons School in El Jadida as a model

كنتاوي نور الدين جامعة تامنغست(الجزائر)

مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست

kentaouinoureddine@univ-tam.dz

تاريخ الإرسال:. 2021/10/24	تاريخ القبول:.2021/11/20	تاريخ النشر : 2021/11/30

ملخص البحث

في هذه الورقة البحثية يحاول الباحث الوقوف على دور المدارس الكنتية المترامية الأطراف في ربوع الجزائر وإفريقيا، هذه المدارس التي أرست دعائم العلم والمعرفة وكان لمشايخها دور فاعل في توجيه المجتمع وتخريج العلماء، بل النهضة التي عرفتها بعض الحواضر الإفريقية أسهمت المدرسة الكنتية اسهاما فاعلا فيها، وهو ما نلمسه من خلال ترحال علمائها، ورسائلهم المختلفة، ورصيدهم من المخطوطات التي لا تكاد تخلو منها خزانة من الخزائن الجزائرية بل وحتى الافريقية، فمنطقة التوات كانت المنطلق نحو العمق الافريقي بفضل موقعها،وكذلك كونها ممر القوافل التجارية وقوافل الحجاج، فكانت مركز تلاقي العلماء فأنشأت هذه المدارس حاضرة توات ومن أهمها حاضرة الجديد وهو محو هذه الورقة العلمية وصفا وتحليلا وتأريخا لدورها التاريخي في نهضة توات وإرساء دعائم العلم وتكوين العلماء.

الكلمات المفتاحية: المدارس، الكنتية، الجزائر، أبناء بن عمر، الجديد، الكنتيين

Summary :

In this research paper, the researcher tries to identify the role of the sprawling Kantian schools throughout Algeria and Africa, these schools

بريد المرسل: kntawynwraldyn@gmail.com

that laid the foundations of science and knowledge and whose sheikhs

had an active role in guiding society and graduating scientists, but rather the renaissance known by some African metropolises in which the Kentite school has made an active contribution, which we see through the travel of its scholars, their various letters, and their balance of manuscripts that are hardly devoid of a treasury of Algerian treasuries. Even the African region, the Touat region was the starting point towards the African depth thanks to its location, as well as being the corridor of commercial caravans and pilgrim caravans, so it was the center of the meeting of scientists, so these schools established the metropolis of Touat, the most important of which is the new metropolis, which is the erasure of this scientific paper description, analysis and history of its historical role in the renaissance of Touat and the establishment of the foundations of science and the formation of scientists.

. **Keywords:** schools, Kintia, Algeria, Sons of Ben Omar, El Jadid, Kantine

مقدمة:

شهدت منطقة توات نهضة علمية وثقافية استمرت قروناً من الزمن ساهمت مجموعة من العوامل في قيامها واستمرارها، منها ،الموقع الاستراتيجي لتوات الذي يتوسط الصحراء وكونها منطقة عبور رئيسية للقوافل التجارية وهمزة وصل بين الشمال والجنوب من واد نون والساقية الحمراء إلى السودان الغربي إلى بورنو، والطريق الرئيسي للحجاج الأفارقة، الشيء الذي مهد لهجرات الكثير من القبائل العربية إليها، مثل قبيلة كنتة العربية، التي ساعدتها الظروف السابقة الذكر على إنشاء حواضر علمية في توات، لازال نداها يفوح حتى اليوم، ومن هذه الحواضر والمراكز الفكرية، حاضرة الجديد التي سنتعرف عليها اليوم من خلال إطارها الجغرافي والزماني وملامحها التنظيمية وأعلامها الذين ساهموا في تأطيرها الفكري والعلمي .

1-المدرسة والزاوية:

المدرسة مصدر مشتق من الفعل الثلاثي ودرس الشيء جزأهُ ودرس الكتاب يعني كرر قراءته، لذلك ستكون المدرسة مكان خاصٌ للتعلم عن طريق التجزيء والتكرار، والمدارس وصفٌ لكل ما يدرسُ فيه من الأمكنة كالمساجد والكتاتيب والزوايا زمن ذلك جاءت تسمية المدارس القرآنية وغيرها من دور العلم والمعرفة[1].

أما لفظ:" زاوية مشتق " من الفعل: زَوَى زَوْياً، زوى الشيءُ، أي جمع الشيء وقبضه، كما تعني الركن، بالتالي، فالزاوية جامعة، لكونها تجمع العباد على حبِّ الله ورسوله وذكره تعالى، والعرب تقول، تزاوى القومُ أي تصاموا أو تضامنواْ وتحلفواْ في بقعةٍ لغرضٍ ما، من أغراض الحياة وكما هو معروف أن أهل الزاوية، يتحلقون ويجتمعون ذاكرين لله تعالى ومنه على ما نعتقد، اللفظ مشتق من الفعل انزوى[2].

1-1-اصطلاحاً:

كثرت تعاريفها ومنها:

1- " المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين ."[3] وهذا التعريف لابن مرزوق الخطيب، ثم ذكر أن الزاوية هي ما يعرف في المشرق بالرباط.

2- وهناك من يرى أنها:" مدرسة دينية، ودار الضيافة للغرباء وتعتبر مركزاً لمشايخ الصوفية مُخَصَّصة للعلم والثقافة العربية الإسلامية في مراحل الدراسة."[4] وهذا التعريف للدكتور رابحي تركي، ولي عليه ملحوظتان:

- أنه قصد تعريف الزاوية وعبّر عنها بالمدرسة، وإن كان البعض يرى أنهما غير متلازمان، فإن المدرسة الكنتية بالجديد خاصة وبتوات عامة لم تفرق بين المدرسة والزاوية إلاّ في الاسم،وذلك أننا نرى المدرسة والزاوية يشتركان في عمل واحد وهو التعليم والإيواء .
- أنه دعّم بتعريفه هذا من يذهب إلى أن المدرسة والزاوية لا يمكن أن ينفصلا لتشاركهما في المهام، حيث قال " تعتبر مركزا لمشايخ الصوفية مخصصة للعلم والثقافة العربية الإسلامية "وهو كلامٌ نراه مشتغلاً فعلا في المدرسة الكنتية بالجديد.

3- دائرة المعارف الإسلامية تعرف الزاوية على أنها : " مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، غرفة صلاة، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف، تعلوهُ قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغرف الطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقرة تشتمل قبور أولئك الذين أوصواْ في حياتهم أن يدفنواْ بها ."[5]

قلت: هذا التعريف فيه نظر لأن الكثيرين من الزوايا لا تشتمل على بعض الأوصاف المذكورة كالقبور والمدافن والرفاهية المذكورة، وإنما هي أبنية على قدر حال أهلها تقدم الخدمات المنوطة بها.

2-الإطار الجغرافي والزماني لمدرسة أولاد بنعمر :

2-1-الإطار الجغرافي:

تقع المدرسة " الجديد" في الجنوب الصحراوي الجزائري بالمنطقة المعروفة قديماً وحديثاً " توات"، يحدها من الشمال قصور: باعمور، أولاد بويحيا، سيدي يوسف و زاوية سيدي عبد القادر بن عومر بفنوغيل، ومن الجنوب ,قصور: أولاد عنطر ,تمالت، لحمر، ايكيس و زاوية كنتة، ومن الشرق قصر: تيطاف ، ومن الغرب :واد مسعود، الذي ينفصل من واد "قير " مروراً على قصر بوده بتوات ويتصل بالصحراء الموصلة إلى ارض تنبكتوا.

في الجديد ثلاث فئات اجتماعية:

- أولاد الشيخ (المرابطين) والمتمثلين في أولاد بن عمر الكنتيين.
- العرب متمثلين في : درمشاكة ,الاتواج والدحاحنة.
- الموالي والمتمثلين في عائلات منفصلة بعضها عن بعض نسبياً.

وتحتل الجديد مركزًا جغرافياً هاماً، حيث تتوسط موقعها الجغرافي، فمن جهة الشمال تجد زاوية سيدي عبد القادر بن عومر، وهي زاوية عاملة على فعل الخيرات قديماً وحديثاً، ومحطة هامة للمسافرين وعابري السبيل، ومن جهة الجنوب زاوية كنتة التي شهرتها تغني عن الحديث عنها، ومن جهة الغرب واد مسعود، الذي تستمد من القرية قديماً أسباب حياتها: كالمرعى والكلأ والماء، وطريق التجارة الممتدة من الجديد الى بورنو إلى دندي إلى تمبكتواْ .[6]

2-2- الإطار الزماني:

الجديد من الحواضر العلمية الكنتية المتقدمة التي يجهلها الكثير من الناس وقد يصدق الكلام على المختصين من المؤرخين ناهيك عن المبتدأين والعوام، والحديث عنها حديث ذي شجون وقد يجذبنا قروناً إلى الوراء لأننا حينها نحاول أن نجيب عن سؤال:متى نشأت الجديد ؟وهو سؤال طالما حيّر الباحث وأتعبه من كثرة إطلاله على الماضي من خلال الرجوع إلى الوثائق والمستندات القديمة والروايات الشفوية التي يكاد ينقرض حاملوها إن لم تدون وهي إشكال في حدِّ ذاته.

إنّ أقدم إشارة مكتوبة إلى الجديد، هي ما جاء في حوليات توات "لبرنارد سافروأ" ، حيث يقول : في سنة 919 هـ " الدرمشاكي ينزل على إخوانه بالجديد"[7]، وما لفت انتباهي في هذا المعطى التاريخي لبرنارد، هو أنه قال :" ينزل على اخوانه بالجديد " ولم يقل أبناء عمه ممّا يفيد إخوانه الكنتيين بالجديد خُصوصاً إذا وقفنا على رسالة السلطان "كادي بن يامشاش "سلطان مملكة بورنو, التي جاء فيها :" إلى أبناء سيد عمر الشيخ، وإخوانهم الدرمشاكيين المقيمين بتوات." والرسالة مؤرخة بسنة 843 هـ، هذه الرسالة التي يزعم " بول مارتي" انها موجهة للشيخ عمر الكنتي يدعوه فيها الى عدم التخلي عن تقاليدهم في التواصل مع مملكة بورنوأ [8].

ونحن هنا يهمنا العامل الزمني فقط، فالقرن التاسع الهجري، متقدم بعض الشيء تاريخيا عن كثير من المدارس والزوايا بتوات، كما أنه من المعلوم أن قبيلة درمشاكة الأنصاريين لازمت الكنتيين من أبناء عمر بن الوافي في اقامتهم وظعنهم برسم التلمذة وقد ثبتت صحبتهم لسيد أحمد البكاي وإبنه سيد عمر الشيخ لكن لم يجتمع درمشاكة والكنتيين بالإقامة في توات كلها إلا بالجديد ,هذا يعلمه الخاص والعام من الكنتيين وإخوانهم الدرمشاكيين ,مما يرجح أن الرسالة كانت موجهة الى الجديد .

ثم نجد إشارة أخرى " للجديد" في حوليات توات، وهذه المرة، يقول برنارد سنة 1029 هـ " خيم كنتيون قرب الجديد ثم رحلوا." الشيء نفسه الذي نجده عند القائد الفرنسي "مارتان" حيث يقول سنة 1620 م ، خيمت قرب الجديد مجموعة غنية من أعيان كنتة أجلاهم القحط من أزواد وأمضوأ عاماً كاملاً ثم رجعوأ إلى بلادهم"[9] وهذا الحدث يؤكد أن الكنتيين كانوا لحمة واحدة لم يتفرقوا بعد.

حينما وقفت على هذا الكلام "لبرنارد ولمارثان"، سألت الوالد الكريم السيد: بابا حمد بن سيد المختار بن سيد احمد وهو مقدم الزاوية اليوم عند أولاد بن عمر بالجديد وراويتهم، سألته هل سمعت شيئاً عن ممن أدركنهم من أكابر أولاد بن عمر بالجديد عن هؤلاء شيئاً، فقال بالحرف الواحد:" نعم، ولقد لعبت وأنا صغير في رسوم منازلهم".

ثم قبل هذا التاريخ المذكور سابقاً، يذكر بيرنارد تاريخياً آخر مقرونا بالجديد، فيقول:" سنة 1012 هـ الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي يؤسس زاويته بالجديد ." فإن صح هذا فإن مدرسة أولاد بن عمر بالجديد ستكون من أقدم المدارس العلمية والزوايا بتوات لكن أعتقد أن هذا التاريخ المذكور لا يرتبط بالشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر، وإنما قد يرتبط بأبيه الشيخ سيد محمد بن عمر بن الوافي وإن لم أقف على نص مكتوب يدعم ما أشرت إليه إلا أن الروايات الشفوية عندنا تشير إلى ذلك، حيث لازلنا نسمع أن الشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي كانت له وقفة علمية بالجديد و توات وما قد يثبت ذلك أن أخاه سيد عمر بن عمر بن الوافي الفقيه مقبور بالجديد.

ثم يأتي الشيخ "ضيف الله بن محمد بن آب المزمري "في مخطوطه:" رحلتي إلى قبر والدي" ليذكر الجديد بتاريخ متأخر عن التواريخ المتقدمة فيقول:" ثم دخلنا الجديد وزرنا ضريح أبو الأيتام والأرامل الولي الصالح سيد المختار بن محمد، ودخلنا المدرسة ووجدنا حلقة البخاري كما هي ..."[10]. والرحلة كما جاء في مقدمتها أنها كانت سنة 1160 هـ، وقد أفادتنا أن هذه السنة كان الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر متوفى وكان المدرس بها الفقيه سيد أحمد بن حمادي، الذي سنتعرض إلى ترجمته في فصل "أعلام المدرسة "إن شاء الله.

ثم يأتي بعد ذلك الشيخ الشريف "مولاي هاشم في رحلته" فيقول " ... توجهت معه إلى قصر الجديد، هناك طلب مني طلبة العلم أن أقرا لهم كتاب مناهج العابدين فأجبتهم وبدأت القراءة الأحد صباحاً وأتممت يوم الأربعاء مساءً وبعدها حرروا لي عقود المال واستشارات لحقوقهم، ومن أوراقهم يثبت لأنه في سنة 1021 هـ قدم الكنتيون إلى تاسفاوت وعزي وأمقيد وزاوية كنتة ."[11] والرحلة المذكورة كانت سنة 1212 هـ.

يستفاد مما سبق:

أن الإطار الزماني للمدرسة الكنتية بالجديد متقدم جدا، بدليل السنوات المذكورة في الآثار المادية السابقة الذكر، إما تصريحًا كما في حوليات توات لبرنارد وإما تلميحا كما هو في رسالة " كادي بن يامشاش " وأن الكنتيين كانوا بالجديد من القرن التاسع الهجري وبعض مدافن المتقدمين من الكنتيين تدل على ذلك.

3-المرافق البيداغوجية للمدرسة الكنتية بالجديد:

المقصود بالمرافق البيداغوجية الأدوات الضرورية بالنسبة للمدرسة والتي لا يمكن النشاط التعليمي للمدرسة بدونها، وقد وقفنا على ثلاث مرافق للمدرسة الكنتية بالجديد ساهمت إلى حد بعيد في إعطاء الصورة اللائقة للتعليم في المدرسة وجعلته على شكل نظام يخضع للمنهج.

3-1-دار الشيخ:

يقضي الشيخ يومه في التربية والتعليم، مما يؤهل منزله أن يصبح مأوىً للفقراء والمساكين وعابري السبيل الذين يحتاجون إلى رعاية خاصة ولا يستطيعون الإقامة بالزاوية كغيرهم من المحتاجين، لذلك تسمي دار الشيخ ب " الدار الكبيرة " هذا الاسم الذي نجده يطلق حاليا بالجديد على منزل الذي كان يقطنه الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر، كما أن دار الشيخ تكون مرفقا للكثير من المريدين الذين لهم قرابة مع العائلة الكنتية، ليأخذوا العلم والأدب عن طريق الفعل من الشيخ، وتتكون دار الشيخ غالبا من:

- بيت للضيافة.
- مطبخ
- بيت خاص
- مكتبة مصغرة

مما يؤهلها حقا أن تكون مرفقا بيداغوجيا لاشتمالها على ماهو ضروري ومطلوب في الحاجيات الإنسانية اليومية.

3-2-الزاوية:

لما كان طلب العلم وخاصة حفظ القرآن الكريم يستلزم إقامة دائمة ولمدة طويلة، يقوم المشايخ ببناء الزاوية التي تكفلُ ذلك إلاّ أننا نرى الزاوية الكنتية بالجديد تتعدى هذا النشاط لتصبح تقوم بمايلي:

1. اقامة الطلبة، التي تستلزم، المأكل والملبس والفراش والأمن.
2. إقامة الغرباء والمسافرين وعابري سبيل من العلماء والزهاد والعّامة، وقد أشار الشيخ ضيف الله بن محمد بن آب المزمري التواتي أثناء رحلته الى قبر والده بتيميمون انطلاقاً من زاوية كنتة أنه دخل زاوية الجديد وطعم فيها وبات، ثم خرج منها عند طلوع الشمس ليتمم مسيره[12]، الشيء نفسه الذي نجده عند الشيخ مولاي هاشم أثناء رحلته إلى توات الوسطى، حيث أقام بزاوية الجديد من يوم الأحد صباحاً إلى يوم الأربعاء مساءاً[13].
3. إقامة المواسم والأعياد الدينية والأيام المباركة، كليلة المولد النبوي، ورمضان وغيرهما، حيث تعكف الزاوية على قراءة المدائح النبوية وإطعام المريدين القائمين على ذلك.

✓ الوقوف على الإصلاح بين الناس وان تطلب ذلك التكفل بالغرامات والديات.

3-3-المكتبة:

المكتبة مرفق بيداغوجي هام لا يمكن الاستغناء عنه في أي عملية تعليمية، وهذا ما لمسناه في المدرسة الكنتية بالجديد التي احتوت على مخطوطات علمية عديدة، لغوية، أدبية، صوفية، حديثية، فقهية ... الخ، ولا زالت موجودة والحمد لله إلى حد اليوم، ومن بين مخطوطاتها التي جذبت انتباهنا :

- القاموس المحيط للفيروز ابادي
- كتاب القضاء لابن العماد
- سيرة الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني.
- فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني.

كما وقفنا على وثائق تفيد أن بعض المدارس الدينية بتوات كانت تستفيد من المكتبة الكنتية بالجديد الكتب على وجه الإعارة، وهذه المدارس لها وزنها العلمي حتى اليوم[14]، وقد أخبرني الوالد الكريم –

أطال الله عمره–أنه حضر إعارة الكتب من المكتبة الكنتية بالجديد سنة 1984 هـ، لأحد الشيوخ بتوات وكانت الإعارة ما يزيد على 100 كتاب.

وقد كانت المكتبة بالمدرسة الكنتية مكاناً ملائما للمناقشة العلمية بين المشايخ والطلبة والضيوف، وقد أشار إلى ذلك الشيخ صيف الله بن محمد بن آب المز مري في رحلته[15].

4–موارد المدرسة:

ونقصد بموارد المدرس، مصادر مداخيلها المادية التي كانت تضمن من خلالها، المستلزمات اليومية للشيوخ والطلبة وعابري السبيل وغيرهم، وقد قسمناها إلى قسمين:

- الموارد الخارجية:

وغالبا ما تكون من المحسنين أهل العلم أو الأمراء والسلاطين ,وقد أشار الضابط مارتان الى أن زاوية الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي بالجديد الكنتي وزاية سيدي عبد القادر بن عومر بفنوغيل استفادت من الدعم المالي من البلاط العلوي .

- الموارد الداخلية:

4–1–الوقف :

الزوايا والمدارس الكنتية بتوات شديدة الصلة بالوقف، فلاتكاد تجد مدرسةً ولا زاويةً إلاّ وتجد بجانبها وقفاً استثمارياً يصرف على أغراضها، بل نستطيع القول أن هذه المدارس والزوايا هي نفسها وقف، فقد عمل المشايخ الكنتيون على شراء الأراضي والعقارات ووقفها على المدرسة والزاوية، كما عملوا كذلك على إعطاءها لمن يخدمها بالتخميس على أن يكون العائد منها لصالح الزاوية والمدرسة[16] ولذلك نرى حركة شراء الأراضي والأديرة عند المشايخ الكنتيين بالجديد حركة واسعة، وقد وقفنا على الكثير الوثائق الدالة على ذلك كما أن الكثير من البساتين في قصر الجديد تابعة للمدرسة والزاوية بالاسم والمنتوج، فتجد بعضها مسمى " بجنان الزاوية" وبعضها " بجنان الشيخ" وبعضها "ببور الزاوية"، وبعضها " ببور الأشياخ" وبعضها " ببور سيدي" ، كما تجد في زمام الماء[17]، الكثير من هذه الأسماء " ماء الزاوية" " ماء الوقف" ... الخ، وقد ساعد الوقف إلى حد بعيد في تنمية العمل بالبر والخير

خصوصاً ما يتعلق به مصالح الناس كالمساجد والمدارس والأربطة[18]، وهذا ما سعى اليه المشايخ الكنتيون بالجديد، حيث عملوا على شراء العقارات والأراضي والبساتين كما أحيوا الموات وجعلوا عوائدها في منفعة طلبة العلم والمريدين والمحتاجين وعابري السبيل وخدمة الصالح العام، وعليه قد نعتبر أن الوقف شَكَّل طول تاريخ المدرسة الكنتية بالجديد مورداً هاماً للتعليم وإليه يرجع الفضل في انتظام الحياة العلمية والدراسة وبقاءها زمناً طويلاً يصل إلى قرون كما شكل هذا الوقف كذلك عنصراً هاماً للعناية بالمسلمين وتوفير الرعاية للفقراء والمنقطعين والقيام بدور التكافل الاجتماعي، ولطالما ساعد هذا الوقف في إعانة المحتاج وفك الأسير ودفع الصائل... إلى غير ذلك من ضروريات الحياة.

4-2- التجارة :

تعتبر توات مركزا تجاريا هاما، باعتبار موقعه المتميز والذي يعد الممر الطبيعي لتجار السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب، بحيث أصبحت بحق وصل بين الشمال والجنوب والشرق عبر الصحراء الكبرى لذلك استغل المشايخ الكنتيون بالجديد هذا العطاء الاقتصادي وشكل الحاج بوبكر بن محمد بن عمر بن الوافي وأخيه سيد المختار بن محمد بن عمر بل قبل ذلك والدهم سيدي محمد وأخيهم سيد أحمد تجارة بارعة في الصحراء الكبرى والسودان الغربي، وقد ذكر الشيخ سيدي محمد الخليفة في الطرائق والتلائد، أن الشيخ الحاج بوبكر بن محمد بن عمر بن الوافي، كان متاجراً ببلدة " دندي" التي هي في حدود نيجيريا والبينين حالياً أي مملكة بورنوا قديماً[19]، بل أكثر من ذلك يذهب الدكتور عباس عبد الله إلى أن مماليك " بورنوا" تأذوا بعدم إقبال التجارة الكنتية إلى بورنوا بعد موجة من العوائق السياسية[20]، لذلك ساعدت التجارة على إنشاء المدارس والرباطات بفضل عوئدها المادية، كما كانت المدارس تغطي احتياجات المسافرين والتجار يقول الدكتور" كرزيكة": " ومما تجدر الاشارة اليه إلى أن أغلبية المدن والقصور التواتية قد نشأت أصلاً عن القوافل التجارية العابرة للصحراء قاصدةً الأسواق الرئيسية، لذلك تحتم على أصحاب هذه القوافل التعامل مع أسواق هذه المدن والقصور للحصول على احتياجاتهم ولأخذ قسطٍ من الرحلة لمواصلة سفرهم الطويل ."[21]

قلت: وقد وقفنا على بعض الوثائق التي تبين لنا جغرافية التجارة الكنتية بالجديد ، وهي رسالة من أحد أبناء عمومتنا الهمال "بأقبلي "إلى أحد المشايخ الكنتيين بالجديد ،جدنا سيد احمد البكاي بن سيدي محمد بن سيد احمد بن سيد المختار بن محمد يخبره فيها عن أمر تجارته، – أي تجارة الشيخ

سيد احمد البكاي- التي يتضح من خلالها أنها كانت تمتد إلى غدامس شرقاً والى أهنت والهقار غرباً. ومما جاء فيها :" ... وإذا سألت عن البلاد فهي في شدّةٍ وبلاءٍ مع قلة والزرع ولكن من التمر ارتحمت ... والتمر في أولف بعشرة مثاقيل والزرع قصعة تطاق بستة عشر موزونات، أما الإدام ما يرى فيها لا سمن ولا لحم ولا شحم ... أما خبر أزواد فإن بلنوار بن الحاج العربي يخبركم به ... لأن الأغدامسى وصلوا إن صالح، ورسل الإبل في أهنت ..."[22]

كما نشير هنا إلى أن هذه التجارة الكنتية لاقت استحساناً من الناس، وفي ذلك يقول د. محمد صالح حوتيه :" وفي الأخير نشير إلى أن التجارة الكنتية والمعاملات الاقتصادية كالمقايضة والرهن والسلف تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية وهي محددة بضوابط شرعية تنهي عن الربا والغش والتلاعب مما سهل عن معاملاتهم التجارية مع بعضهم البعض أو مع غيرهم وشجع علة تنقل قوافلهم التجارية التي تحولت الى أسواق سنوية ينتظرها التواتيون ويقصدها سكان إقليم تديكلت"[23].

5-عناصر المدرسة العلمية الكنتية بالجديد:

5-1-التلاميذ (الطلبة):

يعتبر التلاميذ أو طلبة العلم عنصراً هاماً شارك في إثراء الحركة العلمية للمدرسة الكنتية بالجديد، يقول الشيخ مولاي هاشم في رحلة: " توجهت معه إلى قصر الجديد وهناك طلب مني طلبة علم أن أقرأ لهم كتاب منهاج العابدين " فأجبتهم وبدأت القراءة الأحد صباحاً وأتممت يوم الأربعاء مساءاً"[24] من هذا النص نستفيد أن طلبة العلم كان لهم دور هامٌ في تفعيل دور المدرسة وحركتها العلمية، حيث قابلوا الشيخ وطلبوا منه قراءة كتاب معين، وذلك يدل على اهتمامهم المقصود بكتب معينة، كما تقف في مخطوط الشيخ ضيف الله، على مناقشات علمية بين المشايخ بحضور الطلبة[25]، فمن الطلبة من كان يقصد بعض المشايخ خارج المدرسة من أجل الاستفادة كما فعل الفقيه سيدي احمد بن حمادي مع الشيخ العلامة سيد عمر بن المصطفى الرقادي[26]، وكما فعل كذلك الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر مع الشيخ العلامة سيدي علي بن احمد الرقادي[27].

5-2- الشيوخ :

عرفت المدرسة الكنتية بالجديد حركة علمية أسفرت عن أسماء إعلام لهم وزنهم في توات وخارجها، كالشيخ الفقيه القاضي سيد عمر بن عمر، الذي ذكره الشيخ سيدي محمد الخليفة في الطرائف والتلائد نقلا عن أبيه، أنه كان عالماً علامة قاضياً[28]، وكالشيخ الحاج بوبكر بن محمد بن عمر، الذي نقل الشيخ سيد المختار بن أحمد بن أبي بكر، مقولة شيخه العلامة سيدي علي بن النجيب عنه :" ما رأيت فيمن رأيت مثل الحاج بوبكر بن محمد بن عمر، فإنه ركب فرسين، لزهما في مضمارٍ واحدٍ لم يسبق احدهما الآخر" [29] ويقصد بالفرسين: الدنيا والآخرة، وكأخيه الفقيه سيد المختار بن محمد بن عمر، الذي ذكره الشيخ ضيف الله في رحلته مراراً باسم الشيخ مرةً وباسم الولي الصالح مرة أخرى، وبكنية أبو الأيتام والأرامل مرةً أخرى[30]،والشيخ سيدي محمد بن عمر الدرمشاكي، الذي وقفنا على حُبُسِهِ بزاوية الجديد[31] ولنا نسخة منه، وهو من الاصدقاء المقربين للشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر الكنتي وكالفقيه سيد احمد بن حمادي، تلميذ الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر الذي ورد ذكره في رحلة الشيخ ضيف الله[32] وفي ثبت المشايخ للعلامة سيدي عبد الرحمان التنلاني[33]، والفقيه سيدي عبد القادر بن سيد احمد التوجي الذي الذي ورد اسمه مراراً في رحلة الشيخ ضيف الله[34]، والعلامة مولاي هاشم الذي زار المدرسة عام 1212 هـ[35]، والشيخ سيدي بولنوار، الذي أقام بالجديد وكسب بها الممتلكات والضياع ثم خرج مع الشيخ سيد الحاج بوبكر بن محمد بن عمر إلى أزواد عام 1133 هـ[36]، وكالفقيه العلامة سيدي محمد بن المبروك البوداوي الذي درس بالمدرسة الكنتية بالجديد وهو أحد المقربين إلى الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر[37] والحافظ لكتاب الله الولي الصالح سيد احمد التوجي المدفون بالجديد، شكل كل هؤلاء مرجعية دينية خالصة بالمدرسة الكنتية بالجديد، وعملواْ على حركة علمية أمتد نورها إلى ارض أزواد حيث " المبروك " العاصمة الكنتية الثانية بعد الجديد[38].

6-أعلام المدرسة الكنتية بالجديد:

من الجديد بالذكر أن المدرسة الكنتية بالجديد تحولت إلى مؤسسة علمية وصوفية تمكنت بفضل ما توفر لها من إمكانات مادية ومالها من أتباع من مختلف القبائل ومشايخ أن تقوم بدورها البارز في تأطير المجتمع التواتي والسوداني، وسنذكر هنا بعض أعلام هذه المدرسة الذين توقف بحثنا عندهم و إلاّ فإن هناك من الأعلام والشخصيات من لم نتحصل إلى حد الآن على فرصة تاريخية لمعرفتهم أمثال

" باباسكام"، لالة بنت الشيخ " سيدي ابراهيم" " الحاجة" ريمه"، والكل مقبور بأرض الجديد، الأرض التي قامت عليها هذه المدرسة المباركة.

6-1-سيد عمر بن عمر بن الوافي:

لم نقف الى حدّ الآن لا على تاريخ مولده ولاوفاته، لكن الرواية الشفوية تشير إلى أنه ولد بأرض وواد نوان بداية الألف الهجري، وذلك مقارنة ببعض معاصريه بقصر الجديد، كما تشير الروايات الشفوية أنه من شيوخ ابن أخيه: سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي.

يقول الشيخ سيدي محمد الخليفة في كتابه الطرائف والتلائد حكاية عن أبيه، رحمها الله أجمعين: " ... ويحكي حكاية رويت عن سيد عمر بن الوافي، يقول، يقول حكي لي من أدركتُ من الأكابر ممن يوثق به أن سيد عمر بن عمر، كان علاّمة ورعاً زاهداً ولياًّ حليماً صبوراً ، وكان الناسُ يترافعون اليه فيقضي بينهم، وكان بديناً بطيناً فترافع اليه قومٌ في نائرةٍ بينهم فقضى بمرّ الحقّ فيما بينهم، ثمَّ مَرَّ بالقومِ المحكوم عليهم مجتمعين فلما تجاوزهم قالواْ فيما بينهم: انظرواْ إلى أخْصَامِ تلك البطن وما فتق منها الرشى والحرام، وسمع ذلك أو كوشِفَ به منهم فَكَرَّ راجعاً فلما انتهى إليهم قالّ سمعتُ ما قلتم والله الذي لا إله إلاّ هو ما دخل تلك البطن البطينة سُحْتُ أو حرامٌ أو شبهةٌ فضلاً عن رشوة منذ عقلت وإنما فتق أخصامها عَوَرَ كلمات مثلكم، أسمع هذه فأدفعها في هذه الخصم ثم أسمعُ أخرى فأدفعها في هذا الخصم حتى كان ماترون من انفتاق أخصامها ".

وهذا النص الثمين والروايات الشفوية المتواترة عندنا في توات حذو النعل بالنعل، إذ تشير هذه الروايات إلى أن الشيخ سيد عمر بن عمر كان قاضياً بتوات وكان لا يأخذ عن ذلك شيئاً، وكان حليماً متواضعاً ممازحاً للكبير والصغير، حتى أنه في يوم من الأيام وضع رجله في الطريق لبعض الشباب من أبناء عمومته وقال: لن تمروا من الشارع إلاّ إذا أعطيتموني كذا كذا، ممازحاً فحاولواْ كل المحاولة على إزاحة رجله من الطريق فلم يستطيعواْ وذلك لبدانته.

توفي الشيخ رحمه الله جوار المدرسة بالجديد بالمكان المسمّى " السَحّيرَة" وهناك دفن وتذكر الروايات الشفوية إلى أنه درَّس أبنا أخيه سيد الحاج بوبكر بن محمد بن عمر،وسيد المختار بن محمد بن عمر فهمامن أعيان تلامذته.

6-2-سيدي محمد بن عمر بن الوافي بن سيد عمر الشيخ:

هذا الإسم متداول بكثرة في الذاكرة الكنتية بالجديد، حيث تشير إلى أنه ولد بأرض واد نون وبها تلقى تعليمه الأول، وأنه أخذ القرآن الكريم عن أبيه عمر بن الوافي بن سيد عمر الشيخ، كما تفيدنا هذه الذاكرة إلى أن الرجل كان تاجراً بارعاً في التجارة بجنوب الصحراء الكبرى يجوب بها من الساقية الحمراء واد نون إلى توات و بورنو ذهاباً وإياباً، وقد أفادني بعض أبناء العمومة وهو ثقة، ناقلاً ذلك عمن أدرك من أكابر آباءه وأبناء عمومته أن الشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي تزوج بأرض السودان وخلف هناك ابناً اسمه أحمد.

قد لم نقف على نصّ مكتوب يوثق ميلاده ووفاته لكن أشير إلى نقطتين هامتين تكاد الذاكرة الكنتية عندنا تتفق عليها:

- ✓ أن الشيخ ولد بأرض وادنون
- ✓ أنه لم يمت بتوات ولا قبر له بها، وأنه دفن بالأرض التي ولد بها.

وهنا أشير إلى أن التاريخ الذي ذكره صاحب حوليات توات " برنارد"[39] حول تأسيس الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بمدرسته بالجديد، هو لأبيه سيد محمد بن عمر الوافي، وذلك للأسباب الآتية:

- ✓ أن التاريخ بعيد جدا عن الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر(1012 هـ)، وذلك لأن الشيخ المذكور من تلامذة سيد علي بن أحمد بن محمد الرقاد.
- ✓ أن الروايات الشفهية بالجديد تشير إلى أن المدرسة الدينية بالجديد، كانت موجودة قبل الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي، والدليل على ذلك وجود أعلام أكبر منه مثل أبيه سيدي محمد، وعمه سيد عمر بن عمر بن الوافي.

- ✓ أن الروايات الشفوية تفيدنا أن الشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي كانت له مدرستان علميتان الأولى بواد نون والثانية بالجديد، خلف على هذه الأخيرة، أخاه سيد عمر بن الوافي وأبناءه الثلاثة: سيد المختار بن محمد بم عمر، والحاج بوبكر بن محمد بن عمر، وسيد أحمد بن محمد بن عمر بن الوافي.

من أعيان طلبة الشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي: أبناءه الثلاثة المذكورين سابقاً.

6-3-سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي:

الشيخ الفاضل الهمام، الولي الصالح سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي، هكذا جاء ذكره في المصادر التي تحدثت عنه يقول الشيخ ضيف الله بن سيدي محمد بن آب المزمري التواتي في مخطوطة " الرحلة" :" فجئنا لبلد الجديد ارتفاع الشمس وزرنا ضريح الولي الصالح أبو الأيتام والأرامل سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي، نفعنا الله به[40]

ويقول في صحيفةٍ أخرى حاكيا عن شيخه العلامة سيد عمر رقادي " ... أن الفاضل الهمام الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي أصابته مصيبة فأنشد له أبياتاً وهي:

سيكون ماهو كائن في وقته وأخو الجهالة مُتْعِبٌ محزونٌ

مالا يكون فلا يكون بحيلة أبدا وما هو كائن سيكون الخ

فسكن جزعه"[41]

وهذا النص يفيدنا شيئين:

- ✓ أن الشيخ رحمه الله كان كالعادة آباؤه وأجداده متذوقاً للغة والشعر وهذا ما تشير إليه الروايات الشفوية عندنا.
- ✓ أن هذا النص يوثق – ولوكناية – الرواية الشفوية التي تشير إلى أن الشيخ أصيب بمصيبة إبنه سيد أحمد، فحزن لذلك حزنا شديداً.

ولد الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي بواد نون[42]، أين نشأ ودرس القرآن وبعض العلوم الفقهية والشريعة على يد أبيه سيدي محمد بن عمر بن الوافي، ثمّ انتقل إلى توات مع أبيه سيدي محمد بن عمر بن الوافي وهذه الرحلة قد ذكرها الشيخ العلامة مولاي هاشم في رحلته، حيث أشار إلى أن بعض الكنتيين دخلوا أرض أمقيد بتمطيط، حوالي 1021 هـ وملكوا بها الأراضي والعقارات[43]،وهذا يؤيد الرواية الشفوية التي تشير إلى أن الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي أهدى إلى الفقيه سيد البكري التمنطيطي قطعة أرض بأمقيد بمناسبة حفظ ابن هذا الأخير للقرآن الكريم، وكنت قد سألت الوالد الكريم بابا احمد بن المختار بن سيد احمد، وهو راوية الكنتيين بتوات عن صحة هذه الرواية الشفوية وهل سمع الأكابر ممن أدرك من الكنتيين يروونها، فقال بالحرف الواحد " وقَفْتُ على نصّ الهبة موثقة بتاريخها في مكتبتنا لكن كنت شابا ولم أعرها اهتماماً ."

ثم بعد تمنطيط، دخل الشيخ سيد المختار بلاد "تاسفاوت"[44] مع حشمه وصديقه سيد احمد التوجي، ومنها إلى قصر باعمور بشمال تامست التي أطال البقاء بها وترك بها الكثير من الضياع والعقار نحتفظ به الى حدّ الآن عن طريق الإرث وهو موثق ومكتوب ثم بعد ذلك شد الرحيل الى المكان المسمى : " تمالت" وبحوزتنا وثيقة تاريخية تؤكد ذلك ومنها عاد إلى الجديد عند عمومته وإخوانه من الدرمشاكيين، ليستقر به الحال هناك.

أخذ الشيخ رحمه الله مبادئ العلوم عن أبيه سيدي محمد بن عمر بن الوافي وعن عمّه سيد عمر بن عمر بن الوافي وعن جده عمر بن الوافي بن سيد عمر الشيخ، ليصل به المسار الى العلامة الفقيه سيدي علي بن احمد الرقادي، يقول الشيخ سيدي محمد الخليفة في الطرائف والتلائد عند ترجمته للعلامة سيدي علي بن احمد : " تذاكر الشيخ سيدي الامين بونقاب – وكان صاحب نعل الشيخ سيدي علي – والسيد المختار بن محمد بن عمر، يوماً الطي المكاني والزماني، فقال الشيخ سيدي الامين : الشأن طي المكان حتى ينطوي الكون كله تحت قدم الولي، فقال سيدي المختار: ليس ذلك أستغرب، إنما استغرب طي الزمن الطويل في الدقيقة اليسيرة فكوشف بذلك الشيخ، فلما صَلّوْا العشاء الأخيرة، وجاءوا بالباقيات الصالحات، إذ بالمسجد قد خرج منه النّاس، ولم يبق فيه إلاّ النفر ثلاثتهم، فخرجوا فلما وافوا الباب قال الشيخ لسيدي الامين ضع النعل، فاشرف من وراء العتبة وإذا بالمؤذن ينادي بالإصباح، فرجعوا وصلوا الصبح، فلما جاء الشيخ إلى أهله أخذت بنت أبي نعامة تلحاه

وتقول : بتنا طول ليلتنا نطوف على الديار والمساجد نلتمسكم فلم نقع لكم على خبر وهو يقول : رسلكم عمي، أما إنا لم نخرج من المسجد إلا في هذه الساعة و التلميذان يتعجبان مما رأيا "[45]

وهذه الرواية تؤكد الرواية الشفوية التي أفادتنا أن الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر أخذ عن الشيخ سيدي علي بن احمد الرقادي.

اشتهر الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي بالصلاح والولاية والعفة والإقدام، وإجابة الدعاء، وهذا يتفق عليه العام والخاص بتوات الكبرى كما تقدم بالمشيحة في اللفظ على غيره من المشايخ التواتيين، وتشير الروايات الشفوية إلى أن الله سبحانه وتعالى أهلك الكثير من الأعراب الممتهنين للحرابة على يده في توات، وقد يوثق ذلك النص الآتي الذي ننقله بنصه من الطرائف والتلائد: " يقول الشيخ سيدي محمد :" وسمعتُ الشيخ الوالد – رضوان الله عليه – يقول: بلغني متواتراً أن الشيخ سيدي الحاج أبا بكر بن سيدي محمد بن عمر بن الوافي، سافر في قافلة إلى أرض السودان، فلما وصلوا إلى قرية بقرب دندي ولم يجدوا ما يشرى سوى الجور، فأوقروا منه إبلهم حملاً، فلما أجمعوا على القفول غدر بهم صاحب القرية، فسجنهم ونهب جميع ما بأيديهم.وكان إخوه سيدي المختار بن محمد بتوات فتشوش خاطره واستوحش لذكرى أخيه، فدعا سيد احمد التوجي وقال له: يا احمد، ضاق صدري واستوحشت اليوم، وتاقت نفسي للاطلاع على حال الحاج أبي بكر فاذهب اليه فأتى بخبره، فقال، لا أذهب حتى يذبح كبش سمين فآخذ طابقه، فأدعه عند أهلي يأدمون به عشائي، فذبح الكبش وأخذ الطابق، وقال، أي أمارة تسكن إليها نفسك آتيك بها؟ قال، شاهد سبحته فخرج من عنده، وبلغ أهله الطابق وخرج وكان من أرباب الخطوات، فدخل في ذلك الوقت على السيد الحاج أبي بكر فسمع أصحابه مكالمته للرجل، فقالوا يا سيدي أتهذي؟ قال: لا، ولكن هذا أحمد التوجي ينازعني سبحتي فاختطف سيد احمد التوجي الشاهد وأتى به في الحين، ودفعه إلى السيد المختار بن محمد وأخبره بشأن أخيه وماهو فيه من الحبس، فقام وقعد وأشار إلى القرية فانقلبت وجُعِلَ عاليها سافلها ولم يبق فيها غير السيد الحاج أبي بكر وأصحابه، فجمعوا أمتعتهم وخرجواْ من القرية وتوجهوا إلى كاشن وليس لهم إلاّ الجور"[46]

هذه الرواية توثق ما اشتهر وذاع عن الشيخ سيد المختار بم محمد بن عمر بن الوافي من كرامات كثيرة في توات وغيرها من البلدان.

من أعيان تلامذة الشيخ سيد المختار محمد بن عمر بن الوافي[47]:

- ✓ ابن ابنه الشيخ سيدي محمد بن سيد احمد بن سيد المختار
- ✓ الفقيه سيد احمد بن حمادي، الذي سنفرد له ترجمة مع هؤلاء الاعلام
- ✓ مولاي عبد الرحمان الشريف التوريريني
- ✓ أبناء بوعزة التيطافيين
- ✓ وغيرهم ممن تفيدنا بهم الذاكرة الكنتية بتوات.

توفي الشيخ سيد المختار بن محمد بن محمد بن عمر بن الوافي بالجيد قبل 1160 هـ، لأنّ الشيخ ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، ذكر أنه دخل الجديد عام 1160هـ وزار ضريح الولي الصالح الشيخ الهمام الفاضل أبو الأيتام والأرامل سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي[48]، ودفن قرب ضريح عمّه سيد عمر بن عمر بن الوافي بن سيد عمر الشيخ وعن يمينه ضريح الشيخ سيد احمد التوجي، رحم الله الجميع.

6-4-الحاج بوبكر بن محمد بن عمر بن الوافي:

الابن الأوسط للشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي، ولد بأرض واد نون وأخذ مبادئ العلم عن أبيه، سيدي محمد بن عمر وعن جده عمر بن الوافي وعن عمه سيدي عمر بن الوافي، ثم عن الشيخ الفقيه العلامة سيد احمد الخليفة بن سيد عمر الرقادي، بالمدرسة الرقادية بزاوية كنتة.

يقول الشيخ سيدي محمد، ترجمة الشيخ سيد احمد الخليفة بن سيد عمر بن سيد احمد الرقاد: " وكان رضي الله عنه حسن السيرة، نَيِّرُ السريرة، متمكناً في مقام الولاية، بلغ القطبانية العظمى كثير الطلبة والتلاميذ ومن أعيان تلامذته الشيخ سيدي الامين والسيد الحاج أبو بكر بن محمد بن عمر الوافي والسيد عروة بن سيدي محمد أبي نعامة ."[49]

كان رحمه الله حليماً وقوراً مهاباً محبوباً فقيهاً عالماً فتح الله عليه خيري الدنيا والآخرة، فلم يقدم إحداهما عن الأخرى يقول الشيخ سيدي علي بن النجيب عنه: " ما رأيت فيمن رأيت من رجال الله مثل سيدي الحاج أبي بكر بن محمد بن عمر فانه ركب الدنيا والآخرة فرسين، فلزهما

في مضمارٍ لم تفت إحداهما الأخرى، حتى لقي رب العزة عز وجل على ذلك "[50]، وكان يقول عنه كذلك : " ما وصف لي رجل قط إلا وجدته دون ما وصف به إلا سيدي الحاج أبا بكر فإني وجدته فوق ما وصف به "[51].

والشيخ سيدي علي بن النجيب، هو: الشيخ سيدي علي شيخ الشيخ سيد المختار بن احمد بن أبي بكر الوافي الكنتي فكفاك بها من شهادة.

خرج من الجديد رحمه الله إلى أزواد عام 1133 هـ ليؤسس مدينة المبروك التي ستصبح منارة علمية ومركزا فكريا يلتقي فيه أعلام المشايخ من شتى الأقطار والنواحي، والتي صارت مركزا لنشر الطريقة القادرية، وبها ظهر جماعات من كنتة فقهاء علماء، كان لهم الفضل في نشر العلم والثقافة الدينية في القرن 13 هـ وتوسعوا خارج الحدود القبلية ."[52]

عاش رحمه الله على قدم وساق من العمل، من الساقية الحمراء وواد نون إلى ارض دندي وكاشن، كما مر معنا من قبل، معلما ومرشدا ومضيفا، قال الشيخ سيدي محمد في الطرائف والتلائد نقلا عن أبيه: " قدم أك الشيخ بن كردن سلطان التوارق في مائتي راكب على ولي الله سيدي الحاج أبي بكر بن محمد بن عمر بن الوافي ثم الكنتي سنة أربع وثلاثين بعد المائة والألف 1134 هـ، فأقام عندهم ثلاث أيام، ففرض الجماعة له مداراة مائة ناقة وحصاناً ولباس بيده سوى دراعة وحرام وسروال حبشي في صندوق عنده، فكان يبعث الخديم فيأتي بما ذكر فيتناوله رجلاً من القوم ثم يرد الخديم فيأتي بمثل ذلك حتى البس المائتي رجل فلما اخرج الخديم آخر ذلك نظر في الصندوق فإذا فيه دراعة وحرام وسروال، فأخبر السيد الحاج أبو بكر بذلك، فقال له أفتحت الصندوق؟ قال نعم، قال: لو لم تفتحه مازلنا ننفق منه هكذا آخر الأبد."[53]

تزوج الشيخ رحمه الله، فاطمة بنت الفقيه العلامة سيد احمد الخليفة بن سيد عمر الرقاد، ليعيش في عائلة علمية خالصة وأكرم بها من عائلة فقبيل وفاة الشيخ العلامة سيد احمد الخليفة، جمع هذا الأخير تلامذته الثلاثة، فمثلوا بين يديه فقال: أما أنت يا أبا بكر فقد أعطيتك قصرا بعمر بالدين والمال يدعى المبروك وحجة مقبولة تدعى لها الحاج بوبكر، وابنتي فاطمة ."[54]

توفي رحمه الله بأرض المبروك عام 1140 هـ، حسب رواية الشيخ سيدي محمد الخليفة في الطرائف والتلائد [55].

6-5-سيد احمد بن سيدي محمد بن عمر بن الوافي:

الابن الأصغر للشيخ سيدي محمد بن عمر بن الوافي، نشأ كإخوانه بين أهله وأعمامه وأخواله، تلقى تعليمه كإخوته عن ،أبيه وعمه سيد عمر بن عمر وعن جده عمر بن الوافي ، لا نعرف الكثير عنه إلا ما أفادتنا به الروايات الشفوية و الذاكرة الكنتية بتوات الكبرى و أزواد .

6-6-الفقيه سيد احمد بن حمادي:

الرجل الأدوب الخلوق تربى في بيت كنتي ، توجي،حيث تفيدنا الروايات الشفوية أنه كان مملوكا للشيخ سيد احمد التوجي وعندما حفظ القران الكريم ،ألح الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر على صديقه الشيخ سيد احمد التوجي أن يعتقه ، لحفظه القران الكريم ، ثم أتمم دراسته على يد الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي وكان كثيراً ما يقول عنه ، إذا أنا مُتّ فادفنوا كتابي الأسود جانبي ، و يقصد بذالك الشيخ الفقيه سيد احمد بن حمادي .

يقول الشيخ ضيف الله في الرحلة : "فجئنا لبلد الجديد ارتفاع الشمس وزرنا ضريح الوالي الصالح أبو الأيتام و الأرامل سيد المختار بن محمد بن عمر نفعنا الله به ، ودخلت البلد فوجدت حلقة البخاري كما هي إلا أنهم فرغوا من القراءة الساعة فسلمت على الفقيه حبيبنا سيد احمد بن حمادي". [56]

وممن أخذ عنهم الشيخ سيد احمد بن حمادي ، الفقيه العلامة سيد عمر الرقادي ، يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني في ترجمة العلامة سيد عمر بن محمد المصطفى الرقادي : " و ممن اخذ عنه شيخنا الأديب سيدي محمد بن آب ، و الفقيهان سيدي محمد بن عبد المؤمن و السيد احمد بن حمادي و غيرهم ".[57]

وحدثني حفيده السيد احمد بن سالم أن جدّهُ سيد احمد بن حمادي كان لا يفارق الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي ، في حلٍّ ولا ترحال ، وذات مرة ، سافر الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر إلى الأمير مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل و سافر معه الفقيه سيد احمد بن حمادي ،

فأعجب الأمير مولاي عبد الله بالفقيه سيد احمد بن حمادي و طلب من الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر إبقاء الفقيه بالبلاط السلطاني و كان له ما أراد للأمير ، لكن الفقيه سيد احمد بن حمادي ، لم يطبق صبراً على الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر ، ففر من البلاط إلى توات الجديد.

توفي الشيخ الفقيه سيد احمد بن حمادي بعد 1160هـ ، لأنه كان حيا في هذه السنة حسب رواية الشيخ ضيف الله في رحلته و التي ذكر فيها انه التقى بالشيخ الفقيه سيد احمد بن حمادي بالجديد و قد أرّخ المؤلف للرحلة بعام 1160هـ .[58] و دفن بجوار الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي بالجديد، نزولا عند وصية الشيخ سيد الذي أوصى أن يدفن كتابه الأسود بجواره وقد فسر المشايخ ذالك بالفقيه سيد احمد بن حمادي .

6-7-الشيخ سيد احمد التوجي:

الرجل الصالح، الحافظ لكتاب الله، المتقدم في الولاية من اقرب الناس إلى الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر وأخيه سيد الحاج أبو بكر بن محمد بن عمر، أخذ عن الفقيه سيدي ناجم التمنطيطي وله قصة مع الشيخين سيد المختار بن محمد بن عمر وأخيه سيد الحاج بوبكر بن محمد بن عمر، ذكرناها في ترجمة الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر.

من الراجح أنه توفي قبل الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر، ودفن بالجديد وله مقبرة كبيرة، دفن بها معه، زوجته وابنته، وابنه الرجل الصالح المجذوب سيد عمر بن سيد احمد التوجي، الذي قال عنه الشيخ سيد المختار بن احمد بن أبي بكر الوافي الكنتي: " أدركت سيد عمر بن سيد احمد التوجي وكان من المجاذيب الصحاح، فكلما أخذ في الذكر وطاب طار به الحال من موضعه، فإن كان بإزاء منارة مسجد مشرفةٍ وقع بإحدى رجليه على شرفة المنارة وأخذ يدور بالأرض كالفرخ المذبوح ولا يتأذى بذلك ولا يرى به أثر، وإن كان الى جنب نخلةٍ أو شجرةٍ طار كذلك وانتصب برجليه على فنن منها، كما ينتصب العصفور فإذا سكن ما به سقط على شوك الشجرة وخشبها لجنبه فلاَ يؤثر فيه"[59]

6-8-الفقيه العلامة سيدي محمد بن المبروك البوداوي:

هو الفقيه العلامة الشاعر سيدي محمد بن المبروك البوداوي الجعفري، ولد عام 1080 هـ، أخذ عن شيخه سيدي محمد الو نقالي وعن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني وعن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني، توفي على الأرجح في الثامن عشر من شهر شعبان عام 1198 هـ وقبل 1195 هـ وقبل عام 1196 هـ، من آثاره ديوان شعري ضخم بالإضافة الى عديد القصائد الملحونة[60]

كان الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي من أصحاب الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر، بل كانت بينهما مودة لم تكن بين اثنين سواهما وقد درس الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي أيّاماً بالمدرسة الكنتية بالجديد قبل أن يرحل الى مدرسته ببودة.

6-9-الشيخ الولي الصالح سيد احمد البكاي بن سيدي محمد بن سيد احمد بن سيد المختار بن محمد بن عمر بن الوافي:

أخذ عن الفقيه سيد أحمد بن حمّادي والفقيه مولاي هاشم صاحب الرحلة[61]، ورد اسمه كثيرًا في وثائق البيع والشراء التي بحوزتنا كذا بعض المراسلات بينه وبين أبناء عمومته بأقبلي، والتي جاء في بعضها :" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله ،:

إلى السيد الأسى والذخيرة الحسنى من أيده الله بالرضى والرضوان وختم علينا وعليه بالمساعدة والغفران، من تحبه قلوبنا وترضاه جوارحنا، الأعزُّ علينا ومحل السّيّد والأبوان البركة حفظه الله بمنه وكرمه بجميل ستره، كمال إحسانه بجاه النبي وآله، من لازالت الأيام تساعده والآفات تباعده والخيرات تقرب اليه من كل جانب، سيدي وأستاذي ومن على الله ثم عليه اعتمادي، البركة سيد احمد البكاي بن المرحوم بكرم الله سيدي محمد بن سيد احمد بن المختار ..."[62]

كان حياً رحمه الله سنة 1236 هـ، لأننا وقفنا على عقود شراء لأرضً ببلدة الجديد باعمور مؤرخة بهذا التاريخ.

خاتمة:

هذا بعض ما وقفنا عليه حتى الآن من أخبار عن المدرسة الكنتية بالجديد، مدرسة أولاد بن عمر بن الوافي، والذي يؤهلنا أن تقول :

- أن القبيلة الكنتية شكلت الكثير من الحواضر العلمية بتوات الكبرى خصوصاً نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجري، ومن بين هذه الحواضر " حاضرة الجديد العلمية. "
- هناك الكثير من الأعلام الكنتيين الذين شكلوا إطارا علميا للمدرسة الكنتية عامة ومدرسة أولاد بن عمر بالجديد خاصة، لازالوا قيد النسيان، أو في صفحات عقود البيوع والشراء، أو في بعض الرحلات العلمية لبعض الاعلام يلزمنا الاهتمام بتاريخهم والبحث في حركتهم العلمية .

–المدرسة الكنتية بالجديد، عينة من العينات الكنتية التي تحتاج إلى البحث في تاريخها وأعلامها ونشاطها ونشاطها العلمي وهذا قد ينطبق كذلك على المدرسة الكنتية بأقبلي، وتيمادنين الهامليتين المنسيتين مع أنهما اشتغلا علميا لفترة طويلة من الزمن.

- المدرسة الكنتية امتازت بتعدد فروعها واختلاف أعلامها كمدرسة أولاد بن عمر بالجديد، التي من فروعها حاضرة المبروك ومن أعلامها الفقيه سيد احمد بن حمادي، الذي صلته بالكنتيين صلة علمية بحتة وكذلك الشيخ سيدي محمد بن المبروك البوداوي، وسيدي بوالانوار والشيخ مولاي هاشم وغيرهم كثير.

تلك هي قبيلة كنتة وتلك هي بعض فروعها العلمية والفكرية الحضارية، وتلك هي جهود بعض رجالاتها الأفذاذ في سبيل نشر العلم والدين وتلك هي بعض أخبارهم .

الهوامش :

[1]. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة: زوى.

[2]. عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل، مسيرة قرن من العطاء والجهاد، ط1، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 128.

[3]. ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماري، الجزائر، 1981 م، ص43

[4]. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 237.

5. مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، تر: ابراهيم زاكي، دار الشعب، القاهرة، مجلد 10، ص 332.

6.محمد قومي، دار الطائفة اليهودية بتوات، خلال القرن التاسع والعاشر، ص15.

7.برنارد سافروا، توات خمسين سنة قبل الميلاد، وثيقة تاريخية تتكون من صفحات، نسخة محفوظة بمكتبتنا.

8.Chronologie du borno، jornal de societe de africanistes، 1941، ton 11 ، p 21.32

الرسالة كذلك موجودة بمعهد بابا، بتمبكتوا ، وقد اشار اليها ايضا عدة باحثين

محمد قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات

يحي ولد سيد احمد، ديوان الصحراء الكبرى،

برنارد/ مصدر سابق

9.مارتان، أربعة قرون من الصحراء المغربية، نسخة قديمة بحوزتنا

10.ضيف الله بن محمد أب المزمري،مخطوط,: رحلتي الى قبر والدي، بحوزتنا، ص 103.

11.مولاي هاشم الشريف، الرحلة، مخطوطة بحوزتنا، وبمكتبة مولاي علي سليماني بأدغا ، أدرار، توات، ص 12.

12.صيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 32.

13. مولاي هاشم، المصدر السابق، ص 12.

14. تعمدنا عدم نشر هذه الوثائق لأمور شخصية واجتماعية، والله المستعان.

15.صيف الله بن محمد بن آب المزمري التواتي، المصدر السابق، ص 52.

16.بأيدينا وثائق التخميس .

17.زمام الماء وثائق قديمة معظمها بحوزة أمين الفقارة وقداستفدنا منها كثيراً.

18.المقصود بالزمام، الوثيقة التي تدون فيها أسماء مالكي الماء (الفقارة) وعدد ممتلكاته، ، مثل هذه الوثائق نتحفظ بعدم نشرها لأسباب قد تزول إن شاء الله، والله المستعان.

19. سيدي محمد الكنتي، الطرائف والتلائد ج1، ص377

20. عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي خلال القرنين 9-10 هـ، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 86.

21.د. كرزيكة علي، اثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بإقليم توات، مجلة أفاق، عدد 2، 2017، ص 162.

22.رسالة الى الشيخ سيدا حمد البكاي البنعمري الوافي ,مخطوطة , بحوزتنا .

23.محمد صالح حوتيه، ألكنتة، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، ص 119.
24.مولاي هاشم، المصدر السابق، ص 12.
25.ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 52.
26.سيدي عبد الرحمان التنلاني، ثبت المشايخ، مخطوط بحوزتنا، ص 39.
27.سيدي محمد الخليفة المصدر السابق، ج1، ص277.
28. سيدي محمد الخليفة المصدر السابق، ج1، ص377.
29.ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 66
30. سيدي محمد الخليفة المصدر السابق، ج1، ص55
31.الوثيقة بحوزتنا، مخطوط، بمكتبتي الخاصة.
32.سيدي عبد الرحمان التنلاني، المصدر السابق، ص 39
33. ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص66.
34.انظر: مولاي هاشم، المصدر السابق، ص 12
35.الدرة الفاخرة، في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر، مخطوط بخزانة كوسام
36.احمد جعفري، رجال في الذاكرة سيدي محمد بن المبروك البوداوي، منشورات الحضارة، الجزائر، ص64.
37.الدرة الفاخرة، في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر المهداوي، مخطوط بخزانة كوسام.
[38].
39.برنارد سافرو، توات 50 سنة قبل الميلاد، نسخة بحوزتنا
40. ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 29.

41. . ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، المصدر السابق، ص 66.
[42]. مناقب الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر , مخطوطة ,الحاج محمد بن المصطفى الرقادي ,مكتبة زاوية كنتة ,ص: 1
[43]. مولاي هاشم , المصدر السابق , ص :12
[44].
[45].سيدي محمد الخليفة، المصدر السابق، ج 1، ص 272.
46.سيدي محمد الخليفة، المصدر السابق، ج1، ص :103.104.105.

47.مناقب الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر، الشيخ الحاج محمد بن المصطفى الرقادي، مخطوط ص:3

48. أنظر: ضيف الله بن محمد بن آب المزمري، الرحلة، ص 29.

49. سيدي محمد خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 266.
50. سيدي محمد الخليفة، المصدر السابق، ج1، ص 55
51. سيدي محمد الخليفة، المصدر السابق، ج1، ص 89

52, .عبد الله عبد الرزاق، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، ص 33

53.سيدي محمد خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 229.

54. سيدي محمد خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 268.

55. سيدي محمد خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 211.

[56] ضيف الله بن محمد بن أب المزمري ، رحلتي الى قبر والدي ص: 29

[57] سيدي عبد الرحمان التنلاني ثبت المشائخ ، مخطوط ، مكتبتنا الخاصة ص39 .

[58] ضيف الله ، رحلتي الى قبر والدي ص: 29

59.سيدي محمد الخليفة، المصدر السابق، ج1، ص 201.

60.جعفري احمد، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري حياته وشعره، منشورات الحضارة، ط1،2009، ص 33

61.مولاي هاشم، المصدر السابق: ص 12.

.رسالة موجهة الى الشيخ سيد احمد البكاي، من أجد مريديه بأقبلي، الرسالة بحوزتنا.62

المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت،

2-عبد المنعم ألقاسمي، زاوية الهامل، مسيرة قرن من العطاء والجهاد، ط1، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010،

3- ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماري، الجزائر، 1981 م

4- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

5- مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، تر: ابراهيم زاكي، دار الشعب، القاهرة، مجلد 10،

6-محمد قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات، خلال القرن التاسع والعاشر،

7-برنارد سافروا، توات خمسين سنة قبل الميلاد، وثيقة تاريخية تتكون من صفحات، نسخة محفوظة بمكتبتنا.

8-.Chronologie du borno، jornal de societe de africanistes، 1941 ، ton 11،

9-الرسالة كذلك موجودة بمعهد بابا، بتمبكتوا ، وقد اشار اليها ايضا عدة باحثين

10- سيدي عبد الرحمان التنلاني ثبت المشائخ ، مخطوط ، مكتبتنا الخاصة .

11-يحي ولد سيد احمد، ديوان الصحراء الكبرى،

12-مارتان، أربعة قرون من الصحراء المغربية، نسخة قديمة بحوزتنا

13-ضيف الله بن محمد أب المزمري،مخطوط,: رحلتي الى قبر والدي، بحوزتنا،

14-مولاي هاشم الشريف، الرحلة، مخطوطة بحوزتنا، وبمكتبة مولاي علي سليماني بأدغا ، أدرار، توات،

15-وثائق التخميس .

16-زمام الماء وثائق قديمة معظمها بحوزة أمين الفقارة
17-سيدي محمد الكنتي، الطرائف والتلائد ج1،
18-عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي خلال القرنين 9-10 هـ، جامعة الجزائر، 2000-2001،
19-. كرزيكة علي، اثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بإقليم توات، مجلة أفاق، عدد 2، 2017،
20-.رسالة الى الشيخ سيدا حمد البكاي البنعمري الوافي ,مخطوطة , بحوزتنا
21-محمد صالح حوتيه، ألكنتة، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي،
22-.الدرة الفاخرة، في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر، مخطوط بخزانة كوسام
23- جعفري احمد، رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري حياته وشعره، منشورات الحضارة، ط1،2009
24-.الدرة الفاخرة، في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر المهداوي، مخطوط بخزانة كوسام.
25-. رسالة موجهة الى الشيخ سيد احمد البكاي، من أجد مريديه بأقبلي، الرسالة بحوزتنا.
26-. مناقب الشيخ سيد المختار بن محمد بن عمر , مخطوطة ,الحاج محمد بن المصطفى الرقادي ,مكتبة زاوية كنتة ,
27-.سيدي محمد الخليفة،
28-عبد الله عبد الرزاق، الطرق الصوفية في القارة الإفريقية،